University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد الخمسون / يناير / 2021

توظيف الآيات والأحاديث في الخطاب السياسي الإسلامي

د. سليمان بو بكر صالح مُحَمَّد / قسم الفلسفة / كلية التربية / جامعة طبرق

University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد الخمسون / يناير / 2021

توظيف الآيات والأحاديث في الخطاب السياسي الإسلامي

الملخص:

لقد استخدمت آيات القرآن لأغراض الدفاع عن وجهات نظر قابلة للجدل، وتأويلها من أجل المصلحة السياسية، وهو استخدام خاطئ ليس من الدين في شيء، كما يتم توظيف الآيات والأحاديث لغرض قد يصح وقد لا يصح، يختلف مفهوم الدين عن وظيفة الدين، حيث أن وظيفة الدين السماوي تتبلور في توضيح الاعتقاد الصحيح وهو الاعتقاد بإله واحد ليس كمثله شيء، وكذلك طريقة العبادة، وفي مجال المعاملات تحقيق العدالة بين البشر عن طريق الأوامر والنواهي المذكورة في الشرع، أما التوظيف فهو استخدام المقولات الدينية وإبعادها عن المراد الصحيح بهدف تحقيق أغراض أخرى.

سعت بعض الحركات الدينية إلى تطويع الدين وتحريفه ليخدم أغراضًا سياسية وانحرافات ومظالم يُستدل عليها بالآيات والأحاديث؛ إهانة للدين وتحريفا له، فهم يرحبون بتسيس الدين وإن كان على خطأ، يخدمون أهدافهم ومصالحهم السياسية عن طريق توظيف الدين، أما السنة لا سيما الأحاديث السياسية، فنحن من حيث الثبوت حيال زمانين نصيين، "زمن التلقي وزمن التدوين" كلاهما مفترض ومحتمل حتى تتم قراءتهما على ضوء التاريخين، تاريخ الدولة قبل الأولى من ناحية، وتاريخ الدول والفرق والمذاهب التي لابست أو عاصرت مرحلة التدوين من ناحية ثانية، والسنة من جهة الورود فالسنة المتواترة قطعية الورود عن النبي – ﷺ–؛ لأن تواتر النقل يفيد الجزم والقطع بصحة الخبر، والسنة المشهورة قطعية الورود عن الصحابي أو الصحابة الذين تلقوها عن النبي – ﷺ– لتواتر النقل عنهم، ولكنها ليست قطعية الورود عن الرسول.

ومن البديهي أن يعتمد أي تنظيم يهدف إلى السلطة على أساسين الأول: الأساس التنظيمي الأيديولوجي بصرف النظر عن مصداقية الفكر أو صحة مطابقته للواقع ونتائجه. والثاني: الأساس الجبري أو القهري المتبلور في مفهوم القوة المادية "العسكرية"، من هذا المنطلق يمكن الحديث عن مجالين لحركة واحدة ذات مضمون واحد وهدف واحد، كل مجال يختص بطريق مختلف عن الآخر يلتقيان في المنطلق والهدف، وليس بالضرورة أن تكون نشأة المجالين في فترة زمنية واحدة، فالأغلب سبق الجانب التنظيري على جانب القوة المادية في الفترة الزمنية، وهذا السبق يختلف في قصر أو طول مدته من حركة إلى أخرى تبعاً لظروف العصر والتحديات المقابلة، وهذا ينطبق على الحركات الدينية التي تقوم على توظيف الدين بهدف سلطوي.

الكلمات المفتاحية : المصلحة السياسية – الدين السماوي – تحقيق العدالة – الحركات الدينية .

Summary:

Verses of the Qur'an have been used for the purposes of defending controversial views, and interpreting them for the sake of political interest, which is a wrong use that is not part of

religion in anything, and verses and hadiths are employed for a purpose that may or may not be correct. The concept of religion differs from the function of religion, as the function of the divine religion is It is crystallized in clarifying the true belief, which is the belief in one God that is not like him, as well as the method of worship, and in the field of transactions, achieving justice between human beings through the orders and prohibitions mentioned in the Sharia.

Some religious movements have sought to subjugate religion and distort it to serve political purposes, deviations and grievances that are inferred by verses and hadiths, an insult to religion and a distortion of it. They welcome the politicization of religion even if it is wrong. In terms of evidence, vis-à-vis two textual times, "the time of reception and the time of recording" are both assumed and probable in order to be read in the light of the two dates, the history of the state before the first on the one hand, and the history of states, sects and doctrines that have worn or activated the stage of codification on the other hand, and the Sunnah in terms of roses and the Sunnah Frequent interruption of roses on the authority of the Prophet - may God's prayers and peace be upon him - because the frequency of transmission indicates the assertion and severance of the report, and the famous Sunnah is that roses are cut off from the Companions or Companions who received it on the authority of the Prophet - may God bless him and grant him peace - because of the frequency of transmission from them, but it is not definitive about the roses from the Messenger.

It is self-evident that any organization aiming at power should be based on two foundations: the first: the ideological organizational basis, regardless of the credibility of the thought or the validity of its conformity with reality and its results, and the second: the compulsory or compulsive basis crystallized in the concept of "military" physical force. From this standpoint, we can talk about two areas of movement. One with one content and one goal, each field specializes in a different way from the other, they meet in terms and objectives, and it is not necessary for the two fields to originate in one period of time, as most of the theoretical aspects preceded the side of material strength in the period of time, and this precedence differs in shortness or length of duration From one movement to another according to the circumstances of the age and the corresponding challenges. This applies to religious movements that are based on employing religion for an authoritarian goal.

المقدمة:

لقد وظفت بعض الفرق والحركات الإسلامية الآيات والأحاديث النبوية، الصحيحة أو الموضوعة أو الضعيفة لصالحهم، سواء كان هذا الأمر فقهياً أم سياسياً أم اقتصادياً، بل حتى اجتماعياً، وهو استخدام خاطئ ليس من الدين في شيء، واستغل هذا التوظيف استغلالاً سيئاً، والناس تخاف من النقاش والجدال في الدين، والخوف من العقوبة الشرعية، وكتاب الله لم ينج من حيث الدلالة الموضوعية من يد الأنظمة والفرق والمذاهب الإسلامية، ونصوص القرآن الكريم جميعها قطعية من جهة ورودها وثبوتها ونقلها عن النبي – ﷺ–.

كما استخدمت السنة النبوية الشريفة ووظفت من أجل المصالح السياسية، التي أولت إلى خدمة المصالح، والسنة من جهة الورود فالسنة المتواترة قطعية الورود؛ لأن تواتر النقل يفيد الجزم والقطع بصحة الخبر، والجماعة الدينية تتكون من بدايتها من دعوة ذات صبغة دينية تبنى على صيغة أيديولوجية أو آراء في موضوعات محددة أو منهجية معينة لجميع الموضوعات، وضعت الأحاديث الضعيفة والموضوعة لإثارة المسلمين، والناس تقتنع بكلام النبي –صلي الله عليه وسلم– بل له مكانة خاصة في نفوس المسلمين، وقد حدث صراع سياسي من أجل السلطة بين علي بن أبي طالب ومعاوية، وبين الشيعة والأمويين، وأولت الأحاديث ووضعت أحاديث من أجل هذا الصراع.

وفي كتاب الله سبحانه وتعالى توجد الدعوة إلى التدبر والتفكر؛ لاستخراج ما بها من أحكام ودروس وأسس مهمة في البناء الإنساني، وتناقضت الآراء في سلطة الحاكم مع أن المصدر واحد، فلقد بينت النصوص أن الحاكم أو ولي الأمر في النظام السياسي الإسلامي لابد أن يكون من المسلمين، وله شروط منها: البلوغ، والعقل، والعدل، والرجولة، والقرشية إن وجدت، وتتم عملية توظيف الدين من خلال الجماعات الدينية، ويتجه الهدف نحو السلطة أي بغرض الحصول على السلطة، لأن من وظيفة السلطة السياسية في الإسلام رعاية الشعائر الإسلامية بالتعليم والتوعية والقوانين المنبثقة من الشريعة.

توظيف الآيات والأحاديث

لقد استخدمت آيات القرآن لأغراض الدفاع عن وجهات نظر قابلة للجدل، وتأويلها من أجل المصلحة السياسية، وهو استخدام خاطئ ليس من الدين في شيء، ويتم توظيف الآيات والأحاديث لغرض قد يصح وقد لا يصح، يختلف مفهوم الدين عن وظيفة الدين، حيث أن وظيفة الدين السماوي تتبلور في توضيح الاعتقاد الصحيح وهو الاعتقاد بإله واحد ليس كمثله

شيء، وكذلك طريقة العبادة، وفي مجال المعاملات تحقيق العدالة بين البشر عن طريق الأوامر والنواهي المذكورة في الشرع، أما التوظيف فهو استخدام المقولات الدينية وإبعادها عن المراد الصحيح بهدف تحقيق أغراض أخرى)[1].

والخطاب السياسي الذي يوظف القرآن والأحاديث لغاياته، يوظفها توظيفاً سيئاً، يواجه بها عامة الناس، والناس تخاف من الجدال والنقاش في الدين، يخافون من الوقوع الحرام والخوف من الله والعقاب، فهذه معضلة قائمة عندهم استغلت من قبل الآخرين باسم الدين، ويجعلوا من الآيات والأحاديث أداة من أدوات الإقناع، فمن أجل السياسة والوصول للسلطة تأول وتحرف الآيات والأحاديث، وإقناع الناس بها تحت التهديد العقابي الإلهي.

إن القرآن لم ينج من حيث الدلالة الموضوعية، من يد الأنظمة والفرق والمذاهب، بالتفسير والتأويل، الأمر الذي يحتم أن تمتد أعيننا حين قراءة النص القرآني إلى السياق التاريخي الذي نشأت في ظله الأنظمة والفرق والمذاهب، لنقف على الأثر الذي يمكن أن يكون لها، على النص الموضوعي الثابت للقرآن، وهو ما يعني الوقوف أمام "علم التفسير" الذي كان قد تبلور بهذه الصفة في اتجاهاته المتباينة، قبل انتهاء عصر التدوين)[2]، كما يحمل القرآن الكريم في آياته الإعجاز في كل كلمة فيه، فهناك كلمات وأحرف قد تفهم وأخرى تُعد لغزاً وإعجازاً، بمعنى أنه لا يتطلب تأويلا على تأويل ما تم تأويله من أجل السلطة السياسية، وهذا متداول وشائع بين معظم الحركات والفرق التي تسعى وتطلب السلطة السياسية، ويصل الأمر إلى الخطب سواء في الساحات أو على المنابر التي تسمع فيها الآيات والأحاديث التي تؤيد ما يقال، ولا يسمح بالتساؤل أو النقاش في هذا الأمر وحتى وإن كان فيه تناقض.

إن رسالة الإسلام لا تفرق بتة في شمولها بين شئون المعاش والمعاد)[3]، وإن نصوص القرآن الكريم جميعها قطعية من جهة ورودها وثبوتها ونقلها عن الرسول إلينا، أي نجزم ونقطع بأن كل نص نتلوه من نصوص القرآن، هو نفسه النص الذي أنزله الله على رسوله وبلغه إلى الأمة بدون تحريف ولا تبدل، فكتاب الله لا تناقض ولا حيرة فيه، واضح وجلي ويحمل كل ما هو صالح لكل زمان ومكان، ولكنه استخدم ووظف لغايات معينة ذاتية أو اقتصادية أو سياسية أو دعوية، لقد أجادوا توظيف القرآن للدلالة على ما يريدونه، ومن يطلب السلطة السياسية يميل للآيات التي تأول لصالحه، ويتدخل رجال الدين السياسيين في هذا لإقناع الناس بأن ما يقال هو الحق والشرع يؤيده، فلا يستطيع العامة من الناس أن يخالفوه أو ينكروه، وأهل الإسلام السياسي يأخذون به ويتفاعلوا معه.

---

[1] – د. أشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية المسارات والتحولات، ص 27.

[2] – عبدالجواد ياسين، السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 1998م، ص 29.

[3] – محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص 96.

أما السنة لا سيما الأحاديث السياسية، فنحن من حيث الثبوت، حيال زمانين نصيين، "زمن التلقي وزمن التدوين" كلاهما مفترض ومحتمل حتى تتم قراءتهما على ضوء التاريخين، تاريخ الدولة قبل الأولى من ناحية، وتاريخ الدول والفرق والمذاهب التي لابست أو فاعلت مرحلة التدوين من ناحية ثانية)[4]، والسنة من جهة الورود فالسنة المتواترة قطعية الورود عن النبي– ﷺ– لأن تواتر النقل يفيد الجزم والقطع بصحة الخبر، والسنة المشهورة قطعية الورود عن الصحابي أو الصحابة الذين تلقوها عن النبي – ﷺ–لتواتر النقل عنهم، ولكنها ليست قطعية الورود عن الرسول.

ولم يك أمراً طبيعياً أن يدوم الخلاف بين أهل الرأي وأهل الحديث، فكل من الفريقين ممن حسن إسلامه ونأى عن الشهوات وابتعد عن الاندفاع والسلبيات، لذا قامت مدرسة جديدة تقرب شقة الخلاف فجمعت بين الرأي والحديث ولا تعمل بالرأي إلا إذا انعدم النص)[5]، وسعت بعض الحركات الدينية إلى تطويع الدين وتحريفه ليخدم أغراضًا سياسية وانحرافات ومظالم يُستدل عليها بالآيات والأحاديث، إهانة للدين وتحريف له، فهم يرحبون بتسيس الدين حتى إن كان على غلط، يخدمون أهدافهم ومصالحهم السياسية عن طريق توظيف الدين، الدين لم يترك الأمر الحياتية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية إلا نزلت فيها آيات لكي توضحها وتكلمت عنها السنة النبوية، هناك بعض المواضع من كتاب الله تعالى لآيات تنزلت بسبب موقف سياسي معين بأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نزلت الآيات توضح الربط بين هذه المواقف وبين العقيدة وتتنزل أحكام في شأن ذلك، دنيوية وأخروية، أن الدلالات غير الصحيحة للمقولات الدينية التي طوعها فقهاء السلطة أو غيرهم من خلال مسألة توظيف الدين، تلقى قبولاً لدى أفراد المجتمع أكثر من الدلالات الصحيحة لتلك المقولات، وذلك لعدة عوامل مجتمعة تشكل هوية المجتمع المقبل للدلالات غير الصحيحة حيث توصف تلك الحالة "بتشتت الهوية")[6].

ولا يجوز استبعاد الإسلام عن أي مجال في الحياة بل هو الحاكم على كل كبيرة وصغيرة، بعض الجماعات والحركات حرفت وأولت الآيات التي تدعو إلى القتال كما يرونه وتوظيفها هذه التنظيمات لها، فإطلاق اسم الجهاد على التكفير، وسفك الدماء، وقطع الرقاب، وترويع الآمنين، وتهجير الناس، وسبي النساء، ونقض العهود والمواثيق، ونشر الفزع، وتخريب الديار، فهذا هو الانحراف عن ما جاء وقال به الدين وافتراء عليه، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وخزوهم وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }التوبة:5، وحرفوا قوله تعالى، {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}الحج: 39–40، والشرع الإسلامي القتال فيه يُعد دفاع

[4]– عبدالجواد ياسين، السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، ص 29– 30.
[5]– د. سليمان بوبكر الحباس، دراسات في الفرق والمذاهب الإسلامية الأصل والمنشأ، منشورات جامعة طبرق، ط1، 2020م، ص 21.
[6]– د. أشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية، ص 43.

ضد الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، وفتنوهم في دينهم، ويشرع أيضاً لتحرير الأوطان لقوله تعالى: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ}البقرة:191، فالدين لم يكن حكراً أو خاصاً لفئة أو حركة أو قوة سياسية بعينها، فالإخوان نشطوا في العملية السياسية، والصوفية والسلفية كذلك، وآخرون من فرق وحركات شتى، وكل طرف يقدم تفسيرا مختلفا للدين عن الطرف الآخر، لقد دخل البعض من السلفيين إلى العملية السياسية، وتشددوا فيها، وما لبثوا أن أدخلوا الدين في السياسة وكونوا أحزاب وتجمعات باسم الدين.

وإذا كان المصدر واحداً فلا يمكن أن يكون هناك تناقض أو نزاع بين الوحي الذي هو من الله والعقل الذي هو من الله أيضاً[7]، تتكون الجماعة الدينية عادة في بدايتها الأولى من دعوة ذات صبغة دينية، إما في صيغة أيديولوجية أو آراء في موضوعات محددة أو منهجية معينة لجميع الموضوعات، وتكون هذه الدعوة من شخص متجه نحو الناس، فيؤمن بها البعض ويعتنقها ويطبقها في جميع المجالات، ويعتبر الآراء المخالفة لها غير صحيحة، يصل الأمر في معظم الأحيان إلى التكفير، وآراء الجماعة الدينية تكون عادة عبارة عن امتداد الجماعات الإسلامية السابقة زمنياً مع إضافة بعض الصياغات القليلة وليدة العصر، مثل "الشيعة" و"جماعة الإخوان" و"الوهابية حديثاً"، وبعض الجماعات ترفض إدخال الصياغات الحديثة حتى وإن كان ذلك ظاهرياً مثل "السلفية")[8]، لقد استخدمت الأنظمة الدين من أجل الدعاية لنفسها والحصول على الشرعية، فضلا عن توجيه الناس نحو مسارات أخرى تخالف ما تراه وتريده القوى الإسلامية المسيسة، وأدخلت السياسة في الدين وهذا ما فعله أبوبكر البغدادي– ولقب بخليفة المسلمين، وكذلك رجب أردوغان الرئيس التركي، والرئيس السادات بالرئيس المؤمن–استغلال الدين وتوظيفه سياسياً أمر خطير يحدث فيه تنافر وانحرافات عن الدين، وعامة الناس لديهم الطاعة التامة لما يأمر به الشرع، فعندما يتحدث تنظيم معين أو حاكم باسم الدين تنظر إليه الناس وكأنه هو الآمر الناهي وهو المخلص لهم، ويتم التلاعب بالآيات والأحاديث من قبل المتنازعين على السلطة من أجل الوصول إليها حتى وإن كان على حساب الدين، سيطروا على كل شيء يخص الدين مثل المساجد، وحدث نزاع داخل المساجد وانقسمت وأصبحت لخدمة السياسة وتوظيف منابرها ومحاريبها ينادي لاتجاه وفكر معين وبطاعة ولاة الأمر، ورفض الخروج عليهم، وعدم السماح لانتقادهم، شاع هذا الخطاب داخل الدول الإسلامية ووصل إلى دول أخرى غير إسلامية وبها أقلية إسلامية وسيطروا على مساجدها، وحصلوا على دعم مالي وأمني رهيب.

وضعت الأحاديث الضعيفة والموضوعة لإثارة المسلمين بهذا الكلام المنسوب للنبي– ﷺ–هذه الشخصية التي لها مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، بجانب القرآن رغم التأويل الواسع له فلم يكن كافياً لخدمة إيديولوجيا الأطراف المتصارعة، فكانت

[7] – د. محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط3، 1983م، ص 14.
[8] – د. أشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية، ص 37– 38.

الحاجة لوضع أحاديث تتضمن نصوصاً صريحة وواضحة، فالناس تقتنع بكلام النبي دون الحجة والمنطق، وكذلك الآيات القرآنية حتي وإن كان تأويلها في غير محله، حدثت صراعات وفتن سياسية في عهد عثمان بن عفان–رضى الله عنه– وحدث تغيير في السنة النبوية ووضع الأحاديث المكذوبة عن النبي–ﷺ– وتأويلها لصالح الفتن والصراعات في ذلك الوقت، وكما حدث التلاعب بالنص الشرعي منذ مقتل عثمان ساهمت في صناعة جزء لا يستهان به من النصوص المنسوبة إلى السنة، والعقل المسلم أصبح في حيرة من أمره بسبب دخوله في الصراع على السلطة والتي استندت إلى النصوص الشرعية التي حرفت، فمنذ دونت النصوص، لا سيما السنة، في كتب مستقلة كمتون سردية صرف، بغير إشارة إلى سياقات الواقع التي كانت تلابسها في لحظات التلقي الأولى أو في ظروف التدوين المتأخرة، والعقل الإسلامي يتعاطاها ككائنات تشريعية مطلقة وكاملة الكينونة ليست في حاجة إلى مساعدة خارجية حتى تعمل وتنتج وهو ما ظل يؤدي إلى التعثر في فجوات منطقية تحول باستمرار دون الوصول إلى فهم كامل للنصوص سواء في ذاتها أو في علاقتها البينية، لقد قرأنا بعض الأحاديث من كتب السنة الصرف فلم نفهمها فلما قرأناها في كتب التاريخ فهمناها، وكذلك فقد قرانا بعض الأحاديث في كتب السنة الصرف فقبلناها ثم قرأناها في كتب التاريخ فلم نقبلها)[9]، كما ظهر الزنادقة الذين كذبوا على النبي في الأحاديث، والجاهلين بالسنة والأحاديث الذين وضعوا الأحاديث في الفضائل والرغائب، وإما إغراباً وسمعةً كفسق المحدثين، وإما تعصباً واحتجاجاً كدعاة المبتدعة ومتعصبي المذاهب، وهناك من يتحدث بكلام الصحابة وينسبه للنبي–ﷺ– وقد يتغير المتن الضعيف إلى قوي الأسناد، والأحاديث المكذوبة والموضوعة عن النبي كثيرة، وفي حالة ما تتعارض الآية مع حديث من أجل السلطة يؤخذ بالحديث وترك الآية والعكس كذلك.

لقد حدث الصراع السياسي منذ ظهور الإسلام وكان من أجل السلطة واشتد بعد وفاة النبي– ﷺ– فكان صراع الهاشميين وعلي بن أبي طالب– رضى الله عنه– مع الأمويين، والزبيريين ، مع الأمويين، وبين الشيعة والأمويين، وحدث في الدولة العباسية صراع على السلطة، أولت الأحاديث من أجل هذا الصراع، وفي عهد الدولة الأموية انتشرت الأحاديث الموضوعة، في حين لم يبدأ تدوين الأحاديث النبوية إلا في القرن الثاني الهجري، فإن بعض الباحثين يعتبرون أن الرجال الذين كانوا يقتلون بعضهم البعض استخدموا قوة الكلام المنسوب للنبي–ﷺ–في صراعاتهم السياسية السلطوية، وقد لا يدركون كيفية دلالة النصوص الشرعية على الأحكام التفصيلية أو الفرعية المستفادة منها، ومن النصوص التي جاءت في حق السنة قوله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}النجم:3، وقوله تعالى: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً}النساء:80.

إن القرآن الكريم كتاب يدعو إلى التغيير نحو الأفضل ضمن منهج يقوم على أسس علمية واضحة، يمثل القرآن الكريم التخطيط الذي يندرج مبادئ لتخطيط السياسي بحيث يتلازم فيه العلم والعمل على أساس التطبيق الفعلي، ولقد اهتم القرآن الكريم بالسياسة اهتماما بالغا على الرغم من أن كلمة–السياسة–لم تذكر في القرآن الكريم، إلا أن مضامينها ومدلولاتها جاءت ذكرها

[9] – عبدالجواد ياسين، السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، ص 22.

ضمن العديد من الألفاظ والمصطلحات التي استخدمها القرآن الكريم، فقد جاء في القرآن ما يدل على كلمة سياسة وإن كانت مبطنة فكلمة–الملك– تعني حكم الناس أمرهم ونهيهم وقيادتهم في أمورهم بقوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً}النساء:54، وذكرت كلمة–الاستخلاف– ولها مدلول سياسي في قوله تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}النور:55، وجاءت كلمة–الحكم–في قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً}النساء:58، وكلمة– التمكين–لها مدلول سياسي، قال تعالى:{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}القصص:5، والإمامة والخلافة والولاية سياسياً موجودة في القرآن الكريم ضمن آياته، تتحدث عن العلاقة بين الراعي والرعية، التي تقوم على تحقيق العدل والمساواة، لقد خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه داوود قائلاً: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}ص:26، ولقد اهتم القرآن الكريم بمبدأ الشورى، وهو أساس النظام السياسي في الإسلام، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}الشورى:38، وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}آل عمران:159، كما توجد سورة في القرآن الكريم باسم الشورى ، ويُعد هذا كله حديث عن السياسة والسياسيين تحت كلمة غير سياسية، ويقوم النظام السياسي في الإسلام على أساس نظرة الإسلام وفكرته الكبرى عن الكون والإنسان والحياة.

إن العالم الإسلامي لم يغلق منافذه في وجه التيارات الخارجية، أبداً، إنما دخلت وعرفها المسلمون، ولكن لم تكن لهم حاجة إليها)[10]، لقد بينت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة جميع الأحكام التفصيلية المحتاج إليها في النظام السياسي الإسلامي، والأمر واضح في تحوير وتأويل الآيات والأحاديث لصالح السلطة أو الحاكم، وأغلب من يقوم بالتحوير أو التأويل من الناس لم يتمرس في دراسة العلوم الشرعية ولا يعلمون ولا يدرون كيفية دلالة النصوص الشرعية على الأحكام المستفادة منها، لم تقتصر عملية توظيف الدين على المستويين الفردي والجماعي، بل تواجدت أيضاً وبقوة في المستوى السلطوي، وذلك التوظيف من قبل رجال السلطة لم تقتصر على دين بعينه أو فترة زمنية معينة، حيث أمتد إلى جميع الأديان، سماوية أو وضعية، قديماً وحديثاً، وفي الدين الإسلامي استخدمه رجال السلطة عبر التاريخ بهدف توطيد السلطة أو "مفتيين السلطة"، وهم رجال دين

[10]– د. على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط8، 3 \ 57.

اقتصرت مهمتهم على توظيف الدين لخدمة الإرادة السلطوية بصرف النظر عن صحة الفتوى من عدمها)[11]، هناك علاقة جدلية تربط بين التغير إلى الأفضل والتخطيط السياسي، ولقد اصبح التخطيط ضرورة في جميع نواحي النشاط الإنساني، ولا سيما القضية السياسية، ومن هذه النظرة تنبثق قواعد السياسة في الإسلام وخطوطها العريضة وتفريعاتها المختلفة، بما يشكل نظاما سياسيا متكاملا مختلفا عن الأنظمة السياسية الأخرى في فكرته وأساسه وعناصره، قال تعالى: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}المؤمنون:52، فهذه الأمة واحدة في القيادة، فالأمة مهما تعددت أجناسها، واختلف لغاتها، وتناءت ديارها، وتتابعت أجيالها، هي أمة واحدة يربط بين جميع أفرادها رابط العبودية الحقة لله رب العالمين، حتى وإن تعددت المذاهب والفرق، فهي لها مرجعية شرعية واحدة كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة.

إن الله سبحانه وتعالى من خلال كتابه الكريم يدعو الناس إلى التدبر والتفكر لاستخراج ما فيه من أحكام ودروس وأسس مهمة في البناء الإنساني، تعددت كثير من الآيات القرآنية التي تدل على أن النظام السياسي جزء من الإسلام، إن القيم التي دعا إليها القرآن الكريم في التعامل السياسي هي عبارة عن أسباب النجاح في بقعة من الأرض، فالقرآن الكريم يخاطب العقل والواقع، فلا يخلوا من النظام السياسي السليم، قد يتغير هذا النظام بأفعال الناس وتحريفهم وتأويلهم للنصوص والأحاديث لمصلحة السلطة السياسية، إن الإرادة السلطوية في المجتمع الإسلامي قد استخدمت عملية توظيف الدين كأداة وسلاح أيضاً لتحقيق أهدافها)[12]، ومما تعتني به الأنظمة السياسية هو تحديد الحاكم التي يصبح راعي للرعية، وهو صاحب الكلمة العليا وهذا الأمر موجود في النصوص الشرعية وفي مواضع عدة منها، فقد بينت النصوص الشرعية أن "السيد هو الله تبارك وتعالى" وأن الكلمة العليا إنما هي لله العلي الكبير المتضمنة للشرع المنزل من عند الله تبارك وتعالى سواء ما جاء في كتاب الله تعالى، أو ما جاء في سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–وكون الكلمة العليا في أمر المجتمع والدولة هي لله الواحد القهار، ليست مجرد حكم فقهي، بل هي جزء من عقيدة المسلم، تعددت الآيات الدالة على ذلك قال تعالى: {قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ}الأنعام:57، وقال تعالى: {مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}يوسف:40، وقال أيضاً: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}يوسف:67، ويقول سبحانه وتعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}الشورى:10، وقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً}الكهف:26، وقال تعالى:{وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}القصص:70، وقوله تعالى: {ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}الأنعام:62، وقوله

[11] – د. أشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية، ص 40.

[12] – د. أشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية، ص 43.

تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}الرعد:41، تعددت الآيات الدالة على إن الحكم والحاكم هو الله سبحانه وتعالى.

تناقضت الآراء في سلطة الحاكم مع أن المصدر واحد من الشرع الإسلامي، ففي قضايا السلطة المتعلقة بالحاكم، هل يجب عزله للفسق أو للظلم أو الفساد؟ لنرى التيار الأساسي من مدرسة الحديث بقيادة الحنابلة يقرر أنه لا يجب خلعه سواء أكان الفسق "متعلقاً بأفعال الجوارح وهو ارتكاب المحظورات" كأخذ الأموال وضرب الأبشار، وتعطيل الحدود "أو كان متعلقاً بالاعتقاد"، وهذا نص منقول عن أبي يعلي من رؤوس الحنابلة، ونرى الأشاعرة يقولون على لسان الباقلاني: "إن حدوث الفسق في الإمام بعد العقد له لا يوجب خلعه، وإن كان مما لو حدث عند ابتداء العقد لبطل العقد له، ثم نرى النسفي وهو من الماتريدية، يقرر في صراحة مدهشة أن الحاكم "لا ينعزل بالفسق أي بالخروج من طاعة الله تعالى، والجور أي الظلم على عباد الله تعالى، لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين، و"السلف" كانوا ينقادون لهم، ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم ولا يرون الخروج عليهم)[13]، لقد بينت النصوص أن الحاكم أو ولي الأمر في النظام السياسي في الإسلام لابد أن يكون من المسلمين، ومن يتولى أمر المسلمين، لابد أن يتصف بشروط شرعية مثل: البلوغ، العقل، العدل، الرجولة، والقريشية، لحديث النبي–ﷺ– الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقًّا مِثْلَ ذَلِكَ مَا إِنْ اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)[14]، وقوله–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ)[15]، هل هذا الشرط لا زال قائم؟ تغيرت الأحوال فلم يتطرقوا لهذا الحديث، وضرب به عرض الحائط، فالسنة كانت في شق منها كالقرآن، اقتصر دور العملية التدوينية فيه، على التسجيل والتأويل، أما الشق الثاني، وبوجه خاص تلك المنطقة السياسية، فقد وجدنا انفسنا حيال عملية توليدية بالمعنى الصحيح)[16]، واليوم الولاية تطلب ولقد عنها النبي–صلى عليه وسلم–، وتغيرت طاعة ولي الأمر وأصبحت مطلقة، وجميع الأحكام التفصيلية المحتاج إليها في النظام السياسي الإسلامي، قد دلت عليها النصوص الشرعية من الكتاب والسنة بأنواع الدلالات المختلفة، فما من حكم من أحكام هذا النظام الذي طُولب به المسلمون إلا وفي كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ بيان له وإرشاد إليه ودلالة عليه، ولا توجد مسألة من مسائل هذا النظام ولا غيره مما كلف به المسلمون، خالية من الحكم الشرعي الذي يتناولها، هناك من يرى أن السلطة في الإسلام لم تتشكل

[13]– عبدالجواد ياسين، السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، ص 17.
[14]– مسند الإمام أحمد، مسند أنس ابن مالك رضى الله عنه، رقم 11898، 3 \ 129.
[15]– صحيح البخاري، باب مناقب قريش، رقم 3310، 3 \ 1290.
[16]– عبدالجواد ياسين، السلطة في الإسلام العقل الفقهي بين النص والتاريخ، ص 29.

من خلال النص، وإنما تشكلت من خلال التاريخ، ليس ذلك فحسب بل إن تاريخ السلطة من خلال "التنصيص السياسي" قد لعب دوراً جزئياً في تشكيل النص)[17].

تتم عملية توظيف الدين من خلال الجماعات الدينية، ويتجه الهدف نحو السلطة أي بغرض الحصول على السلطة، وعلى الأخص أن الجماعات الإسلامية قبل الثورات العربية المعاصرة لم تكن تحظى بشرعية الوجود الرسمي في نطاق النظم السياسية السابقة، لذا حاولت الجماعات الدينية جاهدة إخفاء الهدف الحقيقي، ولكن حاولت التبرير في نطاق توظيف الدين، فذهبت إلى أنها تريد الوصول إلى السلطة من أجل إحداث التغيير المطلوب، وذلك وفقاً لنظرتهم لأنفسهم والتي يرى أنها وحدها التي تمثل الإسلام الصحيح)[18]، تسعى الحركات والفرق الإسلامية المعاصرة إلى تطبيق ،الشريعة الإسلامية بتأويل الآيات والأحاديث مستخدمة بذلك منهجية العمل السياسي الحديث القائم على المشاركة السياسية في السلطة، وتوظيف هذه الحركات الإسلامية لبعض الآيات والأحاديث من أجل الوصول للسلطة السياسية، حتى وإن انحرفت هذه الآيات والأحاديث عن مصارها الأصلي، فكلمة سياسي في مصطلح الحركات الإسلامية ليست توصيفاً للإسلام بمقدار ما هي توصيف للحركات من أجل الوصول إلى المشاركة السياسية، ومنهم من يرفض هذا الأمر ومنهم من يقبله، من شعاراتهم هو تطبيق الشريعة الإسلامية والدفاع عن كرامة الأمة الإسلامية، واستخدامهم للخطاب الإسلامي الذي يحمل بداخلها القيم والأخلاق الإسلامية، ولا زالت الحركات الإسلامية في العصر الحديث تعزف على وتر ممارسة العمل السياسي وفقاً للقواعد السياسية الحديثة، مثل الديمقراطية مكان الشورى، والخلافة الإسلامية المقدسة، والتب أولت بعض الآيات والأحاديث من أجلها، كطاعة ولي الأمر، وظهر أمر جديد عند فقهاء السلطة والسياسة إلى التحريم أو التحفظ على كثير مما يستخدم في العمل السياسي، كالانتخابات والترشيح باسم الدين، ودخول البرلمانات والمجالس الشعبية، وتغلبت العواطف الدينية بعيداً عن تحكيم العقل، اختلطت المسائل الدينية ما بين ما يجوز وما لا يجوز الاختلاف فيه، وهذا يرجع إلى فتوى علماء الدين السياسيين، وعندما يخرج الشعب على الحاكم تصدر الفتاوى بعدم الخروج لأن الخروج عليه حرام، وعندما يحاول الشعب إبداء اعتراضاته على قرارات السلطة المتمثلة في الحاكم سواء أكان أميراً أم ملكاً أم رئيساً للجمهورية، ذلك بحسب نوع النظام السياسي المعمول به، حينئذ يُسخر القائمون على السلطة رجال الدين التابعين لهم ليمنعوا تلك الاعتراضات عن طريق توظيف المقولات الدينية، حيث يبثون في الشعب عدم شرعية الخروج على الحاكم، وتصل عدمية الشرعية إلى حد التكفير، وهذا ما حدث في الدول العربية خلال ثوراتها، في مصر وتونس وليبيا واليمن وسوريا)[19]، بل وصل الأمر بهم إلى إقناع الناس بسياسة معينة أو حكم معينة وتمجيده، كما حدث مع الاشتراكية والتي صبغت بصبغة دينية، لقد

[17] – نفسه، ص 22.
[18] – د. أشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية، ص 37.
[19] – د. أشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية، ص 40 – 41.

ذهب البعض إلى إصباغ الاشتراكية بالصبغة الدينية، وادعوا أن هناك اشتراكية عربية وأنها مؤمنة، وأخذوا يبحثون عن مواقف للصحابة تعبر عن السلوكيات والأفكار الأخلاقية المليئة بالإيثار والتسامح)[20].

منذ زمن بعيد يستهلون بعض الكتاب كتبهم بآيات من القرآن الكريم، وإن وجدت خطبة سياسية أو دينية لابد أن يستشهد قائلها بآيات أو أحاديث يرى إنها تؤيد كلامه، وكأن قائلها يريد أن يُثبت أن قوله هو الحق، ودليله على ذلك هو ما يقوله أو يستشهد به من الكتاب أو السنة، لقد وضعُ القرآنِ في موضع الرأي، وهذا كان السبب في التأويل والتحريف ويُعد هذا العمل انتهازي قبل كل شيء، ويتم إقناع من يسمع هذا الكلام ويعمل به، فالمسلمين أمة واحدة قائمة بالحق، تمثل ذلك الحق الرباني الصادق، وعليهم أن يظلوا كذلك منفصلين عن الأمم، لا يأذنون لفكرهم ولا لرسالتهم أن يصيبها من تلك الزيوف ما يغير طابعها أو يخرجها عن جوهرها وكيانها)[21].

والسياسة أجدر بأن تكون موضع مساءلة وشكوك، تلك هي طبيعتها، لأنها لا تستخدم الأخلاق بل قد تنفر العمل الأخلاقي، أما الرجوع إلى الاحتكام للقرآن لإخراجها من موضعها الطبيعي، ليجعل منها شيئا مقدسا، تسعى إلى أن تتقدس بما ليس لها، بينما الحركات الإسلامية هي تندس الدين بتسخيره لأغراض غير أغراضه، لقد تخلت الحركات الإسلامية عن كثير من شعاراتها وأهدافها وفلسفاتها التي تأسست عليها، وشكلت جوهر فكرها وخطابها السياسي والديني، خلال العقود الماضية مثل إقامة الدولة الإسلامية، أسلمة المجتمع، مواجهة التيارات العلمانية، مقولات الإسلام هي الحل، إلى قبول بالديمقراطية كصيغة نهائية لنظام الحكم، وبالتعدديات الدينية والثقافية والسياسية، وفصل الدعوي عن السياسي، ما يعني التحول إلى أحزاب سياسية محترفة، ضمن اللعبة السياسية والديمقراطية، ما يعني –أيضاً–التخلي عن "يوتوبيا" إقامة دولة إسلامية تطبق أحكام الشريعة، كما هي مفهومة في الأوساط الإسلامية الراديكالية، وهذا وذاك معناه عملياً تمييز المجال الديني والوعظي والفقهي عن المجال السياسي والعمل الحزبي، بما يستنبطه ذلك من تحولات فكرية ومرجعات فقهية ودينية في أوساط هذه الحركات)[22].

ومن وظيفة السلطة السياسية في الإسلام هي رعاية الشعائر الإسلامية بالتعليم والتوعية، وبالقوانين المنبثقة من الشريعة، فالسلطة السياسية الإسلامية من واجبها وملزمة بتطبيق الشرع من الآيات والأحاديث مثل عقوبة الجرائم العامة من القتل قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}البقرة:178، أما في

[20]– نفسه، ص 42.
[21]– أنور الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1980م، ص 37.
[22]– د. محمد أبو رمان، ما بعد الإسلام السياسي مرحلة جديدة أم أوهام أيدولوجية، مؤسسة فريدريش إيبرت، عمان، 2018م، ص 10.

الزنا قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}النور:2، وفي السرقة قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }المائدة:38، وقال أيضا في الحرابة وقطع الطريق: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }المائدة:33، وفي القذف قال تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}النور:4، يجب على السلطة السياسية تطبيق هذه الآيات لأنها تخاطبهم.

إن جميع الأحكام التي جاءت في الشريعة هي القوانين الواجبة والملزمة للدولة المسلمة ولا يجوز لها أن تلتزم قوانين أخرى، ولا يجب تأويلها أو تحريفها من أجل السلطة، سواء كانت فردية كالحاكم أو جماعية مثل الأسرة الحاكمة، والأمور التي تأتي جديدة على المجتمع ولا يوجد فيه نص يُجتهد فيه وفق الشريعة وأصولها، الشرع يدعوا إلى مشاركة الأمة في الحكم وإدارة أمور الدولة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}الشورى:38، تشكل الهيئات والمؤسسات اللائقة بحال المجتمع وحجمه وتطوره لتحقيق هذا التكليف بالشورى الملزمة، قد تحرف الأحاديث عن مقصدها، قال- ﷺ-لعلي-رضى الله عنه-لما وجهه إلى خيبر: يَوْمَ خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى فَقَالَ أَيْنَ عَلِيٌّ فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ فَأَمَرَ فَدُعِيَ لَهُ فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ فَقَالَ نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)[23]، قوله-ﷺ- في الحديث يقصد بالقتال إنما هو الهداية أولا، والحكمة تقتضي ذلك، ودعوتهم إلى التوحيد، وشرائع الإسلام، حتى وإن لزم الأمر الدعوة بالعلم، والمناظرة، وإزالة الشبهة فهو أفضل، حرف هذا الحديث عن مقصده عند الحركات والتنظيمات الإرهابية، من الجهاد في سبيل الله إلى القتل والتخريب، فهذا يوضح لنا أنهم ليس لديهم أدنى فهم في فقه النتائج والمآلات، وليس لديهم فقه في الموازنة بين المصالح والمفاسد، وليس لديهم أدنى فهم في فقه المقاصد، وأن الأحكام في أصلها شرعت لمقاصدها، فكيف إذا انقلب العمل إلى هدم مقاصده؟، فلا خلاف على شرعية الجهاد، لكن المشكلة في تحقيق مناطه، فهم من اجتهدوا وجعلوا الجهاد هو القتل، فالراسخون في العلم والفقهاء هم من يجتهدوا في الأمور الشرعية، ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما فهم الواقع، والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علما، والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع،

[23]- صحيح البخاري، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، رقم 1077، 3 \ 1077.

وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع)[24]، والجهاد عند الحركات الإسلامية المتناحرة على السلطة باطنه غير ظاهره، يدعون الجهاد باسم الدين ظاهرياً بينما باطنياً هو القتل من أجل الوصول إلى السلطة، فربما كان الجهاد في صورته صحيحاً لكنه باطل في الحقيقة، لجريانه على غير محله، ولخروجه عن ضوابط الشرع فيه، وإذا خرج الجهاد عن ضوابط الشرع فيها تحول إلى عدوان وقتل وسفك دماء، وقد يزيد الجهاد عند إلى أن يخرج عن حقيقته وأصله، فينتج عنه الظلم، ولقد نهى النبي-ﷺ- عن الإسراف والزيادة المفرطة التي تزيد عن حدها، ومع هذا التهور ينسبون القتل والجرائم المنفلتة للشرع الشرف، لإشباع ما في نفوسهم من حب السلطة والزعم وحكم الناس، فالجهاد حكم شرعي، قد يكون واجباً، وقد يكون محرماً ممنوعاً إذا فقد شروطه، وأغرق أصحابه في سفك الدماء، وحولوا الجهاد من باب صد للعدوان، وأصبح القتل شهوة بالنسبة لهم وأمراً اعتيادي ويُعد قربى لله، ويأخذوا بحديث النبي-ﷺ-في مسند الإمام أحمد: جئتكم بالذبح.

وبالرغم من هذه التطورات والتحولات في خطاب الإسلاميين وممارستهم السياسية إلا أن تياراً من السياسيين والباحثين الغربيين والعرب يشككون في مصداقية هذا الخطاب والسلوك، ويتفقون على أن الإسلاميين مهما اختلفوا في أيدولوجياتهم وأفكارهم، وحاولوا التورية بالقبول بالديمقراطية والتعددية أو الادعاء حتى بقبول الدولة المدنية والفصل بين الدعوي والسياسي، فإنهم -أي الإسلاميين-ما يزالون في نهاية اليوم يفكرون في تحقيق أهدافهم بإقامة الدولة الإسلامية أو المجتمع الإسلامي)[25]، تركوا الشورى وأولوا آياتها من أجل الديمقراطية، واستخدام الدين في السياسة، وأحيانا المساجد في السياسة، وأولوا حرفوا حديث النبي-ﷺ-يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[26]، وفي سنن أبي داود: هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سِيمَاهُمْ قَالَ التَّحْلِيقُ)[27]، يخرج رجل الدين السياسي أمام الحكام أو القيادة السياسية ويعلن على الملأ "إن هؤلاء خوارج وهم كلاب النار أمام السلطة السياسية، ليس من أجل الدين بل من أجل السياسة واستخدام الدين في السياسة، ويجب قتل كل من خرج على الإمام، وحتى وإن كان ليس خارجياً.

من البديهي أن يعتمد أي تنظيم يهدف إلى السلطة على أساسين الأول: الأساس التنظيمي الأيديولوجي بصرف النظر عن مصداقية الفكر أو صحة مطابقته للواقع ونتائجه، والثاني: الأساس الجبري أو القهري المتبلور في مفهوم القوة المادية "العسكرية"،

---

[24]- ابن القيم ، إعلام الموقعين، 1 \ 87.

[25]- د. محمد أبو رمان، ما بعد الإسلام السياسي، ص 13.

[26]- صحيح البخاري، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم 3415، 3 \ 1322.

[27]- سنن أبي داود، باب في قتال الخوارج، رقم 4765، 4 \ 243.

من هذا المنطلق يمكن الحديث عن مجالين لحركة واحدة ذات مضمون واحد وهدف واحد، كل مجال يختص بطريق مختلف عن الآخر يلتقيان في المنطلق والهدف، وليس بالضرورة أن تكون نشأة المجالين في فترة زمنية واحدة، فالأغلب سبق الجانب التنظيري على جانب القوة المادية في الفترة الزمنية، وهذا السبق يختلف في قصر أو طول مدته من حركة إلى أخرى تبعاً لظروف العصر والتحديات المقابلة، وهذا ينطبق على الحركات الدينية التي تقوم على توظيف الدين بهدف سلطوي)[28]، يختلف النظام السياسي الإسلامي الحديث عن سابقه، تطورت علوم السياسة وظهرت أشياء جديدة في السياسة، مثل الجمعيات الخيرية، والمجتمع المدني، وحقوق الإنسان، ومؤسسات أخرى كثيرة، وكذلك الديمقراطية والرأسمالية والاشتراكية، هذه الأنظمة لم تكن موجودة من قبل، ولكن قبل بها الدين الإسلامي حتى يندمج مع المجتمعات الأخرى سياسيا، ولقد حدث اختلاف بين رجال الدين في هذه الأمور، دخل رجال الدين في هذا المجال السياسي، وصدروا فتاوي تصب في صالح النظام السياسي، وسخروا الدين لخدمة أهوائهم السياسية السلطوية، ومن المتعارف عليه لدى المجتمعات الإسلامية محبتهم واقتناعهم برجال الدين ومدى مصداقيتهم لهم أكثر من رجال السياسة، بيد أن عملهم في السياسة يكسر هذه المصداقية المعرفة عنهم ويحطم صورتهم أما الناس، فلا يحق لرجل الدين استغلال علمه وفقه في السياسة ويؤثر على الناس بها، يجب على رجال الدين إذا انخرطوا في المجال السياسي أن يوحدوا صفوف وكلمة الدين والمسلمين، وأن يكون خطابهم السياسي الإسلامي لصالح المسلمين والدين، لأن أخلاق العمل السياسي يختلف عن أخلاق العمل الدعوي الإسلامي، فالدين علاقة بين الإنسان وربه، فلا يمكن أن نتوقع من الدين أن يكون برنامجاً سياسياً من أجل الوصول إلى أهداف شخصية أو سلطوية، كما أنه يستند علماء الدين المسلمون إلى القرآن والسنة في أفكارهم وأقوالهم، ولكن إن غلبوا فيها سياسياً يتم تأويل الآيات والأحاديث لصالح النظام السياسي، واليوم يختلف عن الأمس البعيد، توجد المؤسسات السياسية والدينية التي لم تكن موجودة من قبل، ومن خلال الخريف العربي الجديد طالب البعض من رجال الدين بالديمقراطية والحرية، بينما يوجد من هو على خلاف ذلك فلا يسمح بوجود الديمقراطية لأنه يحرمها.

[28]– د. اشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية، ص 317– 318.

المراجع

1- أنور الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1980م.

2- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الجيل ، بيروت، لبنان، 1973م.

3- د. أشرف حافظ، توظيف الدين عند الحركات الإسلامية، كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2014م.

4- د. سليمان بوبكر الحباس، دراسات في الفرق والمذاهب الإسلامية، منشورات جامعة طبرق، ط1، 2020م.

5- سليمان الاشعث السجستانى الازدى، سنن ابى داود، المكتبة العصرية.

6- د. عبدالجواد ياسين، السلطة في الإسلام العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

7- د. محمد أبو رمان، ما بعد الإسلام السياسي مرحلة جديدة أم أوهام أيدولوجية، مؤسسة فريدريش إيبرت، عمان، 2018م.

8- محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

9- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير.

10- محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط3، 1983م.

11- مسند الإمام احمد، دار إحياء التراث العرب.

12- د.على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط8، ج3.